تحت المجهر

أ.د. معتز محي عبد الحميد
mrkazamin@yahoo.com

فرحنا .... نقتل .... ونبكي

عندما انتهت مباراة كرة القدم بين العراق والأردن بفوزنا ،بدأت العيارات النارية تملأ الأجواء بالضجيج وتثير الرعب بين الناس الآمنين، وعندما عدت إلى داري وجدت أحد جيراني قد أصيب بطلق ناري في رأسه وقتله في الحال وهو جالس في داره ليترك خلفه خمسة أطفال وزوجة بلا معيل، وهذه الظاهرة تتكرر في كل مناطق بغداد والمحافظات ولكن بلا حل جذري لها من قبل وزارة الداخلية وأجهزة الشرطة.

ضحايا العيارات النارية الطائشة أرقام كبيرة تعرفها وزارة الصحة ومديرية الشرطة العامة والداخلية تعرف الأعداد أيضا وما زلت أذكر ما كتبته في عدة زوايا أناشد فيها وزارة الداخلية حين كانت رزم الألعاب النارية تباع في المحلات للأطفال كذلك الإطلاقات النارية في الأسواق كما يباع الخضار،عشرات المقالات كتبت في الصحف وبيانات وخطب في الجوامع والحسينيات ناشد فيها المعنيون وزارة الداخلية لحقن الدم بعد ضحايا الأعيرة النارية التي تطلق في الأعراس والمناسبات الأخرى وآخر هذه الحوادث مقتل طفل كان يشاهد حفل زفاف لأحد أقاربه، فمن الذي يأخذ هذه الظاهرة موضع الجدية ويضعها في تشريع صارم نافذ باعتبار أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن وكيف نعالج هذه الظاهرة المستفحلة التي لا يفيد فيها كتابنا وكتابكم، وبغير الوعظ والإرشاد والتوجيه والتعليم والثقافة وكلها تأخذ وقتاً طويلاً لمعالجة الظاهرة واجتثاثها وهي الظاهرة التي يكاد ينفرد بها العراقيون منذ أزمنة بعيدة .

كيف يمكن الخروج من إطار المناشدة بعد سقوط كل شهيد ينضم إلى قافلة العبث إلى إجراء رادع يجعل المتصرف بالرصاص يحتسب دفع ثمن باهظ لا يحله شرب فنجان قهوة سادة وجاهة لا تكلفه ما يمكن أن يدفعه لمخالفات سير أو ثمن سيارة يجري شطبها في حادث..

إلى متى نظل رهائن سلوك همجي طائش ندفع ثمنه من أبنائنا وبناتنا أو آبائنا وأمهاتنا حين يتسلل الرصاص عبر الشبابيك أو ساحات البيوت أو يتساقط من السماء في دورة عودته للأرض ليخترق الأجسام قبل أن يبرد.

كيف يمكن معالجة الظاهرة من جذورها في مصادرة السلاح ومنع انتشاره والإجبار على ترخيصه وحصره ومتابعة استعماله وهو المشروع الذي بدأ قبل عدة سنوات وتوقف وتعطل بفعل ضغوط قوى اجتماعية وقد جرى إدارة الظهر لذلك المشروع الذي لم ينفذ وعادت حليمة لعادتها القديمة.

كنت أعود من أحد الأحياء قبل أربعة أيام وأنا أسمع زخّات الرصاص تكاد تخرق سيارتي وأقسم أنني توقفت عن السياقة وانحنيت لأكثر من أربع دقائق لتتلاشى الأصوات، فالحي الذي كنت أمر منه لزيارة صديق مريض اشتعل وكأنه جبهة قتال جرى إعلانها في يوم الخميس.

أناشد وكيل وزير الداخلية لشؤون الشرطة أن يضع قناعاته وتصوراته إلى جانب مقترحات لإصدار أوامر قوية منظمة لحياة آمنة وأن يأخذ أشد الإجراءات ريثما يتسنى للبرلمان أن يشرع القانون المناسب، وأن تتصدى دوريات النجدة والشرطة المحلية لمواقع إطلاق الرصاص أياً كان نوعه ومصدره والقائمين عليه بغض النظر عن نفوذهم ومنزلتهم وطبيعة المناسبة، فالصغار لا يطلقون النار في المناسبات إلا إذا أطلق الكبار ، والأوامر يجب أن تشمل الكبار وأصحاب النفوذ والسيارات المظللة وغيرهم لأن أكثر إطلاق النار مصدره من هؤلاء المتنفذين وتجار السلاح .

نحن نتطلع إلى إجراءات رادعة في المستقبل القريب لوقف هذه الظاهرة المدمرة ونتطلع إلى توفير أدوات قادرة ومخلصة لتطبيق القوانين والتعليمات التي سوف تتخذ.

قضية الأسبوع

سوء التربية والدلال أفقداه توازنه وأديا إلى قتله شقيقته

الأخوّة علاقة حميمة مقدسة، رباط مقدس يجمع الإخوَة ، أبناء بطن واحد، الأشقاء دائما ما ينشأون ويترعرعون في كنف أسرة واحدة، عادة ما تجمعهم السعادة والفرح، لكن حينما تفرض الكراهية نفسها، ويخيم الحقد عليهم يصبحون اشد الأعداء. قضيتنا لهذا الأسبوع تدور حول أخ قتل شقيقته بسبب الميراث، نحاول أن نعرضها عليكم لتكون موعظة للجميع، في زمن تلاشى فيه كل شيء، تلاشت الرحمة والمودة والعطف، لماذا فعل ذلك ؟

□ بغداد / د. معتز محي عبد الحميد

سنحاول الإجابة عن هذا السؤال في هذه السطور،(م) شاب حاد الملامح،شديد العصبية، ساخط على كل شيء حتى على الزمن والساعة التي ولد فيها، الغضب يكاد يسيطر على كل أفعاله، يبلغ من العمر أكثر من ٣٠ عاما، نشأ في أسرة بسيطة، له ثلاث أشقاء غيره ،هو أصغرهم سنا ،والده يعمل حدادا ووالدته ربة بيت وهي سيدة مسنة تبلغ من العمر الستين ،قام الأب وألامُ بتربية أولادهم بصعوبة بسبب قلة موردهم المالي وكثرة الأولاد، رغم ذلك إلا أن التدليل افسد (م) نظرا لأنه الابن الوحيد وهي عادة متكررة عندنا في العوائل العراقية ولابد من التخلص منها، لكن هذه العادة وهذا الأسلوب في التربية دائما يعود على الأسرة بالسلبيات والعواقب الوخيمة، يحصدون نتائجه بعد ذلك ويندمون اشد الندم على هذا الأسلوب في التربية الأسلوب الخاطئ والجانح في أكثر الأحيان وهذا المثال أمامنا في الواقع.

الحزن الشديد يكاد يفتك بها،على ابنتها التي ماتت على يد شقيقها وابنها الذي من المحتمل أن يقضي بقية عمره وأحلى أيام حياته في السجن ،هذا إذا لم يحكم عليه بالإعدام، فالأخ هنا قتل أخته ،في لحظة سيطر عليه الشيطان، واستهوته شهوة حب المال والماديات، اليوم الذي وقع فيه الحادث،اجتمع فيه الأشقاء لتوزيع الميراث الذي تركه لهم والدهم بعد وفاته حيث ورث بيتا من والده وقد باعه الأبناء بعد وفاته مباشرة، كانت السعادة تسيطر عليهم ،الشقيقات الثلاثة والأخ الوحيد الذي يتزعمهم، فهو الآمر الناهي لجميع الأمور، جميع القرارات تصدر منه، الأم المسنة جالسة، إحدى بناتها سألتها: متى يوزع أخي الميراث علينا ؟ الأم طلبت من ابنها سرعة توزيع الحصص على أخواته، استجاب على الفور، جلسوا، بدأ النقاش بينهم، وقال الأخ لهم أنه سيبيع هذا البيت الذي يسكنون فيه أيضا ويوزع ثمنه عليهم،رفضت إحدى الأخوات المقيمة به، وسألته: اين سنعيش بعد ذلك ؟ أشتري شقة صغيرة واسكن فيها أنا وأمي، لم ترض الأخت بذلك، احتدم النقاش، حاول زوج أخته الأخرى تهدئة النقاش، وان يهدئ من روع (م) لأنه يعرفه جيدا، ويعلم انه يتعاطى الحبوب و(الكبسلة) وبكل استهتار ولا مبالاة وأمام الجميع أمسك بسكين المطبخ وقام بقذفه بسرعة على أخته ، اخترقت السكين على الفور ظهرها، واستقر نصلها في قلبها مما أودى بحياتها أثناء نقلها إلى المستشفى، الصمت ساد المكان، الحزن سيطر على الجميع، لعنوا الساعة واليوم الذي اجتمعوا فيه لتوزيع النقود فهي مأساة بكل المقاييس، المدى التقت (م) في مركز شرطة (سومر) وجدناه في حالة هستيرية، غير مصدق انه قتل أخته! دموع الندم تذرف من عينيه وقال: لحظة ضعف أفقدتني أختي، لم أكن أتصور أن أمسّها بسوء في يوم من الأيام ،سواء من اجل المال أو غيرها، سؤال يتكرر في ذهني من حين لأخر وأنا جالس في الموقف لماذا قتلتها، يا لها من غلطة ارتكبتها ومأساة حقيقية، لو أني أمسكت أعصابي، كلمات نطق بها (م) أمامنا كلها تعبر عن الندم لكنه ندمٌ بعد فوات الأوان، لأنه لا يفيد شيئاً، فهو قد ارتكب الحادث وانتهى الأمر، المطلوب التروي وهدوء الأعصاب وإمساك النفس عند الغضب، هذه كلمات ودروس مستفادة من هذه الجريمة الأليمة، عندما سألناه عن السبب الحقيقي وراء ارتكابه الجريمة، أجاب: أنه تعلم منذ الصغر أن يمتلك كل شيء بمفرده وقال أيضا، الأنانية مسيطرة علي منذ صغري، والسبب في ذلك والدي وأمي لأنهما قاما بتربيتي بشكل خاطئ، التدليل كان صفة من صفاتي، أمي وأبي يعاملاني برفق وينفذا كل شيء اطلبه منهم، كل شيء اطلبه يأتي حتى إذا لم يكن في هذه الساعة بل بعد أيام أجده أمامي، كلها عوامل ساعدتني على فقدان شخصيتي وأعطتني صفات لم أكن أحب أن تكون لدي منذ الصغر، ثم اتجهت بعد أن توفر المال إلى الإدمان على الحبوب و(الكبسلة) ومرافقة أصدقاء السوء، لقد رفضت منذ صغري الاستمرار في تعليمي، رغم أن والدي لم يقصر في تعليمي لكن لم أكن أهوى الدراسة والتعلم، كنت أهرب من الدروس والجأ إلى صالات البلياردو والتسكع أمام مدارس الطالبات، فقدت أشياء كثيرة حتى عندما عاشرت أصدقاء السوء الذين (لاطوا) بي وأصبحت معروفا بذلك والآن أنا ادفع الثمن غالياً، سوف أقضي أحلى أيام عمري بين جدران السجون، افتقدت أختي التي كنت أحبها ولا استطيع أن أفكر في يوم من الأيام أن أمسها بأذى، أنا حزين جدا ومتألم على ما ارتكبته من فعل شنيع باتجاه أختي، وانتهت اعترافات القاتل.

مشاهد حية من مسرح الجريمة

بعد أن سقطت الأخت ضحية الميراث الملعون على الأرض، والدماء تنزف من ظهرها، الأخ (م) وقف مذهولا، يتساءل ما الذي فعلته، الشقيقات وأزواجهن يحاولون إنقاذها، الجيران تجمعوا في المنزل عندما سمعوا العويل والبكاء، أصبحت الواقعة حديث الناس والأهل والجيران، (م) فاجأ الجميع بعد قتلها وفرّ هاربا، مكث عند صديقه في باب المعظم ،إلا أنه في صباح اليوم التالي بعد أن علم من الجيران أنها ما زالت حية قام بزيارتها في المستشفى وسأل زوج أخته عليها، وأنكر له أن أخته توفيت وقال له إنها في غيبوبة ستستمر يومين كما قال الطبيب، ذهب تاركا المستشفى على أمل أن أخته على قيد الحياة، لكنه خاف من العودة إلى البيت حتى لا يتم القبض عليه، ذهب إلى صديقه في باب المعظم مرة ثانية ونام عنده وتحدث له عن ما قام به تجاه أخته وطلب منه أن يبقى عنده لحين التصالح معهم، وافق صديقه على ذلك، رغم شكه في كلامه وتصرفاته، وفي اليوم التالي ذهب (م) إلى بيته متخفيا وجد هناك شيئا غريبا، جادراً منصوباً أمام البيت وناساً مقربين وغرباء واقفين أمام البيت، وأزواجُ أخواته يستقبلون المعزين، أدرك أن أخته قد توفيت، بكى في هذه اللحظة بكاء شديدا، لكنه أمسك أعصابه وفر هاربا عائدا إلى شقة صديق أخر في (الحيدر خانه) ليأخذ ملابسه ويذهب إلى مكان أخر لا أحد يعرفه فيه، لكنه لم يجد صديقه في الشقة ، جلس عند أحد المقاهي منتظرا عودته إلا أنه خلال ساعات الانتظار قامت مفرزة من الشرطة بالبحث عنه بالدلالة من أصدقائه وأحد معارفه ، وفي المساء عثرت عليه الشرطة مختبئا في شقة صديقه في الحيدر خانه يتناول المسكرات معه، تم جلبه إلى مركز الشرطة وأخذ المحققون إفادته واعترف بارتكابه الجريمة وأنه نادم على ذلك، صدقت أقواله قضائيا في اليوم التالي أمام قاضي التحقيق الذي قرر توقيفه وإحالته إلى المحكمة لينال عقابه العادل.

لغز الرجل المختفي في مقبرة الكرخ!!

□ بغداد / المدى

خرج الزوج ولم يعد! أخرمن شاهده أكد أنه رآه ينزل من سيارته ممسكا بتليفونه (الموبايل) يتحدث بعصبية ثم ينهار باكيا ... وحينما اقترب منه يسأله عما أصابه ، لم يردّ ، وظلت دموعه تنهمر بينما كان يغلق سيارته ويشير إلى سيارة أجرة استقلها بسرعة وانطلقت به بعيدا !.. الشرطة تلقت إخبارا من زوجته باختفاء زوجها الموظف بإحدى الشركات الأهلية ، وبأقوال زميله الذي شاهده لأخر مرة ، وقد اهتمت الشرطة بالإخبار وعممت برقية بأوصافه وصورته على كافة السيطرات والمراكز ولكن بلا جدوى حيث حير الشرطةَ لغزُ اختفاء السيد (ع) بينما ظلت سيارته في مكانها، اتصلوا به على رقم الموبايل لكن الخط كان خارج نطاق الخدمة، أصدقاؤه ومعارفه وأقربائه وجيرانه اجمعوا على أنهم لم يشاهدوه ولا يعرفون أين ذهب ، ولماذا اختفى، المعلومات التي جمعتها الشرطة عنه أكدت أن الرجل في غاية الاستقامة ، ليس له أعداء ولا خصوم ولا مشاكل مع احد ، لا يعاني من أية أمراض نفسية أو عصبية ، بل هو إنسان رقيق المشاعر ، مهذب الأخلاق ، محب للحياة ، وإن كانت مسحة حزن دفين لم تفارق عينيه أبدا منذ سنوات شبابه المبكر وحتى يوم اختفائه ، الذي كان بالصدفة هو يوم عيد ميلاده الخامس والخمسين !.. وأوشكت الشرطة أن تغلق الإخبار ، لكن زوجته كانت تصر على وجود جناية في الحادث ، وان وراء اختفاءه سرا كبيرا تخفيه مكالمة الموبايل الأخيرة وواقعة تركه سيارته بالكراج المجاور للشركة التي يعمل فيها والتي لم يدخل إليها ، واضطر إلى ركوب سيارة أجرة وهو ما لم يفعله قط طوال حياته !

الأمل الأخير الذي بقى أمام الشرطة هو مخاطبة شركة الموبايل لمعرفة عنوان أخر رقم اتصل بالسيد (ع) في التوقيت الذي حدده أخر شخص رآه وكانت المفاجأة ، وصلت الشرطة إلى عنوان صاحب أخر مكالمة معه ، وأرسلت بطلبه ، وعندما حضر أمامها أكد في أقواله انه فعلا اتصل بالسيد (ع) ليبلغه بان (ش) قد لفظت أخر أنفاسها في المستشفى وقال الرجل أيضا إن (ع) انهار فعلا وكان يبكي كالأطفال حتى أغلق الخط وانقطعت الحرارة ، ولا يدري أين هو على وجه التحديد ، سألت الشرطة زوجته عن السيدة (ش) التي كانت بطلة الخبر الحزين وأجابت الزوجة في دهشة : لا اعرف امرأة بهذا الاسم في حياتي أو في حياة زوجي رغم إنني زوجته من ثمانية عشر عاما، وسألت الشرطة صاحب المكالمة مرة أخرى عمن تكون (ش) ولماذا أبلغ السيد (ع) بوفاتها وجاءت المفاجأة الثانية قال الرجل :

(ش) كانت أول واعنف حب في حياة (ع) وكنت صديقهما وجارهما لكن أهلها اجبروها على الزواج من رجل أخر ، عاشت معه على أمل أن يأتي الحب بعد الزواج أو أن ينسيها الزواج روعة الماضي الذي عاشته مع (ع) لكن زوجها كان عنيفا ، عصبيا ، صاحب نزوات رخيصة ، ظل يضربها ويهينها ويجرح كبريائها بغرامياته مع نساء من المستوى العادي ! ومع ذلك رفضت (ش) أن تخونه أو تترك أطفالها له أو تتمرد عليه وكانت سلوتها الوحيدة أن تتحدث مع السيد (ع) تليفونيا وتشكو إليه الجحيم الذي تعيشه ، وفي الأسابيع الأخيرة عرضت على (ع) أن تطلب الطلاق من زوجها وتتزوجه، لكن السيد (ع) أجابها بما لم تكن تتوقعه ، قال لها أنها ما زالت حبه الكبير والعنيف ، لكنه أصبح مقيد الجناحين بزوجته التي تحبه وأولاده الذين ملأوا حياته ، ولان الطائر المقيد لا يستطيع أن يحلق بعيدا ، لكن (ع) عرض عليها أن يتزوجها على أن تظل زوجته في عصمته وان يظل زواجهما سرا حتى لا يخرب بيته ويظلم زوجة لا ذنب لها في غرامه الأول وحبه الكبير، ويبدو أن (ش) أحست أنها لم تعد الملكة المتوجة في حياة (ع) ، أو أنها فهمت إجابته بمشاعر امرأة لا تريد أن تكون في حياة حبيبها الأول نصف زوجة ، لهذا طلبت منه أن يتركها تفكر بعض الوقت ويستطرد الشاهد قائلا : صباح اليوم التالي سمعت صراخا وضجيجا من دار (ش) التي تسكن إلى جواره ، فلما استطلع الأمر وعرف أنها فارقت الحياة وهي نائمة سارع بالاتصال بالسيد (ع) ليبلغه الخبر !... القصة كانت مفاجأة غير متوقعة لزوجة السيد (ع) التي واصفرّ وجهها وخف صوتها ، وانسحبت من المركز تاركة ضابط التحقيق يؤكد للضباط الأخرين أن السيد (ع) لابد من أنه انتحر وسوف تظهر جثته يوما من الأيام، مر عام كامل ولم تظهر جثته، وذات مساء طرق احد الأشخاص باب دار السيد (ع) وفتحت الزوجة الباب واخبرها هذا الشخص أن زوجها في مركز شرطة (أبو غريب) ويطلب جنسيته والبطاقة التموينية لإثبات شخصيته ، أسرعت الابنة الكبرى إلى (أبو غريب) في فرحة عارمة ، قدمت لمدير الشرطة كل ما يثبت شخصية أبيها ثم سألته عنه فكانت المفاجأة الثالثة : قال لها مدير الشرطة ، دوريات الشرطة الليلية في مقبرة الكرخ تلقت إخبارا من بعض سكان المقابر هناك عن وجود إنسان في حالة إعياء شديد ، ملابسه تمتلئ بالأتربة والأوساخ ، وجدته سيارة الدورية وهو يحتضر فتم نقله إلى المستشفى حيث أفاق بعد ساعات وأفصح فيها عن اسمه وعنوانه ورغبته في رؤية أولاده وزوجته، بكت الابنة الكبرى واهتزت بعنف ، ثم هرولت إلى المستشفى الموجود فيها والدها ، وهناك في الردهة ألقت الابنة بنفسها فوق صدر أبيها وامتزجت دموعهما ، لكنه طلب منها رؤية باقي أشقائها وزوجته ،اتصلت الابنة بمنزل أسرتها ، أعطتهم العنوان ولم تخبرهم أن أباهم كان يعيش بالقرب من قبر (ش)، ورغم هذا جاء الأبناء كلهم لزيارة والدهم والبقاء إلى جواره، وكانت الوحيدة التي لم تزره زوجته !! .

من ملفات الشرطة

رصاص الفرح قلب الأفراح إلى أحزان ولوعة!!

□ بغداد / المدى

سار بخطوات بطيئة مستندا إلى زوجته وأقاربه ليعود إلى منزله ويستريح من ألآم المرض التي سيطرت عليه، مر بجانب حفلة عرس وسأل أقاربه عن اسم العروسين، وقبل أن يجيبه سقط شيئٌ ما على رأسه وأصابه بجرح صغير، ظن الرجل المسن أن لم يصطدم برأسه سوى حجر صغير ألقاه احد الأطفال في الفرح المقام، وعاد إلى منزله وغرق في نوم عميق بعدما داوى الجرح، وفجأة استيقظ في الفجر يصرخ من الم رهيب برأسه، فنقلته عائلته إلى المستشفى ليدخل ردهة الطوارئ ويكتشف أنه نام ليلته وفي رأسه رصاصة، كان (م) يقوم بأداء واجب العزاء في إحدى

الأحياء القريبة من بغداد وعندما شعر بألم شديد بسبب مرضه بالفشل الكلوي، طلب من أصدقائه أن يعيدوه إلى منزله ليستريح ويأخذ مسكناً لهذا الألم ساروا أثناء العودة بجانب الكراسي المنصوبة بالفرح بخطوات بطيئة وأثناء ذلك فوجئ أصدقاؤه به يمسك رأسه وهو يؤكد لهم أن شيئاً ما اصطدم برأسه، أصيب رأسه بجرح بسيط عالجه أصدقاؤه بلا اهتمام وهم يظنون أن ما أصابه لم يكن سوى حجر صغير ربما يكون طفلٌ صغيرٌ ألقاه بلا قصد، عاد الرجل المسن إلى منزله ليأخذ المسكنات والأدوية قبل أن يخلد إلى النوم، وفي الساعة الرابعة فجراً وعند أذان الفجر استيقظ أفراد أسرته على صرخات الأب الذي امسك برأسه وهو يؤكد لهم انه يشعر بألم شديد في مكان الجرح، فنقلوه إلى المستشفى حيث فوجئوا بالطبيب يؤكد لهم انه مصاب برصاصة في رأسه، لقى الرجل المسن مصرعه، وأكد الطب العدلي أنه أصيب برصاصة استقرت في رأسه وأصابت الجمجمة بكسور وتهتك مما أدى إلى نزيف حاد تسبب بوفاته، من هو الذي أطلق النار ابتهاجاً بالفرحة وزواج العريس؟ تساؤل لا تزال الشرطة عاجزة عن حل لغزه ومعرفة من هو الذي أطلق النار حيث أن الجميع ذكروا للمحقق أن عشرات الأشخاص أطلقوا العيارات النارية بهذا الحفل بل استغل بعض الغرباء والمارين في الطريق العام هذه المناسبة وأطلقوا أيضا العيارات النارية!.